

عُمْرَةُ الحَدِيثِيَّةِ

تَارِيخُهَا وَأَسْبَابُهَا :

خرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الإثنين غرة ذى القعدة سنة ٦ هـ^(١) متوجهاً بأصحابه إلى مكة لأداء العمرة .

وسببها: أن النبي ﷺ رأى رؤيا ملخصها: أن النبي ﷺ رأى أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرماً مؤدباً للعمرة ، وقد ساق الهدى معظماً للبيت مقدساً له ، فبشر النبي ﷺ أصحابه ففرحوا بها فرحاً عظيماً^(٢) .

اسْتِنْفَارُ الرِّسُولِ ﷺ لِلنَّاسِ :

استنفر رسول الله ﷺ العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ؛ ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له مجرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الأعراب^(٣) ، أما هو فغسل ثيابه وركب ناقته القصواء ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أو نميلة الليثي خرج ومعه زوجته أم سلمة في ألف وأربعمائة ، ويقال: ألف وخمسمائة ولم يخرج بسلاح معه ، إلا سلاح المسافر: السيوف في القرب^(٤) .

المُسْلِمُونَ يَتَحَرَّكُونَ إِلَى مَكَّةَ :

وتحرك في اتجاه مكة ، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدى ، وأشعره وأحرم بالعمرة ؛ ليأمن الناس من حربه ، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة ؛ يخبره عن قريش حتى إذا كان قريباً من عسفان أتاه عينه ، فقال: إنى تركت كعب بن لؤى قد جمعوا لك الأحابيش^(٥) ، وجمعوا لك جموعاً ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، واستشار النبي ﷺ أصحابه وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَتَرُونَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذُرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِّبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ، وَإِنْ نَجَوْا تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّهُ، أَوْ تَرُونَ أَنْ نُؤْمَ الْبَيْتِ فَمَنْ صَدَدْنَا عَنْهُ قَاتَلْنَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِمَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَلَمْ نَجِئْ لِقَاتِلٍ

(١) الرحيق المختوم ص ٢٩٥ .

(٢) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٣٣٥) .

(٣) ابن هشام ٢ / ٦٥ .

(٤) الرحيق المختوم ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٥) هم عرب من بطون بني كنانة وغيرهم .

أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَاتْلَنَاهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَرَوْحُوا إِذَا، فَرَاخُوا»^(١).
مُحَاوَلَةٌ قُرَيْشٍ صَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْبَيْتِ:

وكانت قريش لما سمعت بخروج النبي ﷺ عقدت مجلساً استشارياً؛ قررت فيه صد المسلمين عن البيت كيفما يمكن، فبعد أن أعرض رسول الله ﷺ عن الأحابيش نقل إليه رجل من بنى كعب أن قريشاً نازلة بذي طوى، وأن مائتي فارس في قيادة خالد بن الوليد مرابطة بكرع الغميم في الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مكة، وقد حاول خالد صد المسلمين، فقام بفرسانه إزاءهم يترأى الجيشان، ورأى خالد المسلمين في صلاة الظهر يركعون ويسجدون، فقال: لقد كانوا على غرة لو كنا حملنا عليهم لأصبنا منهم، ثم قرر أن يميل على المسلمين - وهم في صلاة العصر - ميلة واحدة؛ ولكن الله أنزل حكم صلاة الخوف، ففاتت الفرصة خالداً^(٢).

تَجَنَّبَ الرَّسُولُ ﷺ لِقَاءَ قُرَيْشٍ:

ولما بلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً قد خرجت تعترض طريقه وتنصب كميناً له ولأصحابه بقيادة خالد بن الوليد؛ وهو لم يقرر المصادمة رأى أن يغير طريق الجيش الإسلامي تفادياً للصراع مع المشركين، فقال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟» فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله؛ فسلك بهم طريقاً وعراً بين شعاب شق على المسلمين السير فيه؛ حتى خرجوا في أرض سهلة عند منقطع الوادي، وعند ذلك قال رسول الله ﷺ للناس: «قولوا: نستغفر الله وتوب إليه» فقالوا ذلك.

فقال ﷺ: «والله إنها الحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها» فأمر رسول الله ﷺ الناس أن يسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمش في طريق تخرجه إلى ثنية المرار، فهبط الحديبية من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك الطريق بخفة ودون أن يشعر به أحد، فما نظر خالد إلا وقرة^(٣) جيش المسلمين قد ثارت، فعاد مسرعاً هو ومن معه إلى مكة يحذر أهلها ويأمرهم بالاستعداد لهذا الحدث المفاجئ^(٤).

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ٤٢٩ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٩٥ .

(٣) قرة: غبار .

(٤) السيرة النبوية للصلاحي ٢ / ٣٣٨ .

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بثنية المزار بركت بها راحلته، فقال الناس: حل حل فالحل^(١)، فقال الناس: خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلتي ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خبطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت به قال فعدل عنها حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء^(٢)» إنما يترضه الناس تبرضا^(٣) فلم يلبث الناس أن نزحوه فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهمًا من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه قال فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه^(٤).

بديل بن ورقاء يتوسط بين النبي ﷺ وقريش:

ولما اطمأن رسول الله ﷺ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله ﷺ^(٥) من أهل تهامة وقال إنني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العود المطافيل^(٦) وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين وإن قرشنا قد نهكهم الحرب فأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا لقد جموا^(٧)» وإن هم أبوا وإلا فوالذي نفسي بيده لأقاتلهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره».

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول فأنطلق حتى أتى قرشنا فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعنا يقول قولاً فإن شئتم نرضه عليكم فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشيء وقال ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول: قال قد سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ^(٨).

(١) حل حل: تقال زجرا للناقة، والحل الناقة وخلات بمعنى: حرنت.

(٢) ثمذ: حوض.

(٣) يترضه الناس: يأخذون منه قليلاً قليلاً.

(٤) الرحيق المختوم ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٥) عيبة نصح أي: موضع سره.

(٦) العود: الإبل، المطافيل: حديثة الإنتاج.

(٧) جموا: استراحوا.

(٨) الرحيق المختوم ص ٢٩٦، سيرة الرسول أبو عمار ٤٣٢ - ٤٣٣.

رَسُولُ قُرَيْشٍ:

وبعثت قريش سفيرها مكرز بن حفص بن الأخيف أحد بني عامر بن لؤي ،
فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ: «هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ» ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَلَّمَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَحْوٍ مِمَّا كَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ .^(١)

قَالَ فَبَعَثُوا إِلَيْهِ الْحِلْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ الْكِنَانِيَّ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِشِ فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ»^(٢) . فَبَعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ «فَبَعَثُوا الْهَدْيَ فَلَمَّا رَأَى
الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عَرْضِ الْوَادِي فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ
مَحِلِّهِ رَجَعَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ رَأَيْتُمْ
مَا لَا يَجِلُّ صَدُّهُ الْهَدْيَ فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ فَقَالُوا:
اجْلِسْ إِيَّامًا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ .

فغضب الحليس عند ذلك وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ، ولا
على هذا عاقدناكم ، أَيْصَدَّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مِنْ جَاءَ مَعْظَمًا لَهُ؟! وَالَّذِي نَفْسُ الْحَلِيسِ بِيَدِهِ
لَتُخَلَّنَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ ، أَوْ لَأَنْفَرَنَّ بِالْأَحَابِشِ نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَالُوا لَهُ: مَهْ ،
كَفْ عَنَّا يَا حَلِيسَ ، حَتَّى نَأْخُذَ لَأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ^(٣) .

فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ: إِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٌ فَاقْبَلُوهَا وَدَعُونِي
آبِي فَقَالُوا آتِيهِ فَآتَاهُ قَالَ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ فَقَالَ عُرْوَةُ
عِنْدَ ذَلِكَ أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ
أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنَّ الْأُخْرَى فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى وَجُوهًا وَأَرَى أَوْبَاشًا مِنَ النَّاسِ خُلِقُوا أَنْ
يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اْمْصُصْ بَطْرَ اللَّاتِ نَحْنُ نَفِرُ عَنْهُ وَتَدْعُهُ
فَقَالَ مَنْ ذَا قَالُوا أَبُو بَكْرٍ قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ
بِهَا لِأَجْبَتِكَ وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ وَكُلَّمَا كَلَّمَهُ أَحَدٌ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى
رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ وَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ٤٣٣ .

(٢) يتألهون: يتعبدون ويعظمون أمر الإله .

(٣) ابن هشام (٢/ ٦٨ - ٦٩) .

ضَرَبَ يَدَهُ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَقَالَ أَخْرُ بِدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ عُرْوَةَ يَدَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا قَالُوا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَالَ أَيُّ غَدْرٍ أَوْلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ النَّبِيَّ ﷺ بِعَيْنِهِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا تَسْتَحْمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالتَّجَاشِي وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ﷺ وَاللَّهِ إِنْ يَسْتَحْمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٌ فَاقْبَلُوهَا» (١).

سَفْرَاءُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى قَرِيشٍ:

ولما لم تنتج سفارات قريش شيئاً يذكر أرسل النبي ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له: الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله.

فلما فعلت قريش ما فعلت بسفير رسول الله ﷺ إليها حيث عقرت بعيره، وأرادت قتله ولم تقبل منه قولاً ولا رأياً عاد إلى النبي ﷺ هارباً بنفسه.

ولما رأى شباب قريش الطائشون الطامحون إلى الحرب؛ رغبة زعمائهم في الصلح فكروا في خطة تحول بينهم وبين الصلح، فقرروا أن يخرجوا ليلاً ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثاً تشعل نار الحرب، وفعلاً قد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلاً، فهبطوا من جبل التنعيم وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين غير أن محمد بن مسلمة قائد الحرس اعتقلهم جميعاً؛ ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعفا عنهم وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢).

(١) الرحيق المختوم ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٤٣٦.

ثم دعا رسول الله ﷺ عُمَرَ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ قَالَ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَدَفَ خَلْفَهُ وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سَفْيَانَ وَعَظْمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ فَقَالُوا لِعُثْمَانَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

إِسَاعَةُ مَقْتَلِ عُثْمَانَ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانَ:

واحتبسته قريش عندها ، ولعلمهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم في الوضع الراهن ويرموا أمرهم ثم يردوا عثمان بجواب ما جاء به من الرسالة ، وطال الاحتباس فشاع بين المسلمين أن عثمان قتل ، فقال رسول الله ﷺ لما بلغت الإشاعة: « لا تبرح حتى نناجز القوم » ثم دعا أصحابه إلى البيعة فثاروا إليه يبائعونه على ألا يفروا ، وباعته جماعة على الموت ، وأول من بايعه أبو سنان الأسدي ، وباعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات في أول الناس ووسطهم وآخرهم ، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال: « هذه عن عثمان » ولما تمت البيعة جاء عثمان فبايعه ، ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له: جدُّ بن قيس .

أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحت شجرة ، وكان عمر آخذًا بيده ، ومَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ آخذًا بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله ﷺ ، وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] (٢).

إِبْرَاهِمُ الصَّلْحِ وَبُنُودُهُ:

وعرفت قريش ضيق الموقف ، فأسرعت إلى بعث سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو لعقد الصلح

(١) ابن هشام ٢ / ٧١ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٩٨ .

وأكدت له ألا يكون في الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً ، فاتاه سهيل بن عمرو فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد سهّل لكم أمركم؛ أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل» فجاء سهيل فتكلم طويلاً ، ثم اتفقا على قواعد الصلح وهي:

١- الرسول ﷺ يرجع عامه هذا ، فلا يدخل مكة وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون ، فأقاموا فيها ثلاثاً معهم سلاح الرّاكب ، السيوف في القرب ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض .

٢- وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .

٣- أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

٤- من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يرده عليه .

٥- وإن بيننا عيبة مكفوفة وإنه لا إسلال ولا إغلال^(١) .

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال له رسول الله ﷺ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال له رسول الله ﷺ: «اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب هذا ما اصطالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين ، فأمر علي أن يكتب: «محمد بن عبد الله ومحو لفظ رسول الله ، فأبى علي أن يحو هذا اللفظ فمحا رسول الله ﷺ بيده ثم تمت كتابة الصحيفة».

شهد على الصلح من المسلمين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وعلي بن

(١) العيبة هنا مثل: والمعنى أن بيننا صدوراً سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بيننا ، وقد يشبه صدر الإنسان الذي هو مستودع سره ، وقوله: لا إسلال ولا إغلال ، فالإسلال السرقة ، والإغلال: الخيانة ، والمعنى العام أن بعضنا يأمن بعضاً في نفسه وماله فلا يتعرض لدمه ولا لماله .

أبى طالب كاتب المعاهدة رضى الله عنهم أجمعين ، ومن المشركين مكرز بن حفص وسهيل بن عمرو ، ولما تم الصلح دخلت خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ ، ودخلت بنو بكر فى عهد قريش^(١) .

أَبُو جَنْدَلٍ وَثَبَاتُهُ عَلَى الْحَقِّ :

وبينما الكتاب يكتب إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن تردّه إلي فقال رسول الله ﷺ : «إنا لم نقض الكتاب بعد» قال فوالله إذا لا نصلحك على شيء أبدا فقال النبي ﷺ : «فأجزه لي» قال ما أنا بمُجزئه لك قال بلَى فافعل قال ما أنا بفاعل وقد ضرب سهيل أبا جندل في وجهه وأخذ بتلابيه وجره ليرده إلى المشركين وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معاشير المسلمين أتردوني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني قال: فزاد الناس شرا إلى ما بهم فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله عز وجل جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نغدر بهم» قال فوثب إليه عمر بن الخطاب مع أبي جندل فجعل يمشي إلى جنبه وهو يقول اصبر أبا جندل فإلما هم المشركون وإلما دم أحدهم دم كلب قال ويؤذي قائم السيف منه قال يقول رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية^(٢) .

حُزْنُ الْمُسْلِمِينَ وَمَوْقِفُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لقد كان المسلمون يعلوهم الحزن الشديد لسببين اثنين:

الأول: أن النبي ﷺ كان قد أخبرهم أنهم سيطوفون بالبيت .

الثاني: أن النبي ﷺ قبل ضغط قريش فى هذا الصلح .

كانت هاتان الظاهرتان مثار الريب والشكوك والوساوس والظنون ، وصارت مشاعر المسلمين لأجلهما جريحة ؛ بحيث غلب الهم والحزن على التفكير فى عواقب

(١) ابن هشام (٢ / ٧٢ - ٧٣) ، السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧) ، الرحيق المختوم ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٩٩ .

الصلح لعل أعظمهم حزناً كان عمر بن الخطاب يقول رضى الله عنه: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ: «بلى» قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدَوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ: «بلى» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّيْنََةَ فِي دِينِنَا إِذَا قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَغْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي» قُلْتُ: أَوْلَسْتُ كُنْتُ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ قَالَ: «بلى قَالَ أَفَأَخْبِرْتِكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامُ» قُلْتُ: لَا قَالَ: «فإنَّكَ آتِيهِ وَمَتَطُوفٌ بِهِ» قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بلى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدَوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بلى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدِّيْنََةَ فِي دِينِنَا إِذَا قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ وَقَالَ: تَطُوفُ بِغَرْزِهِ حَتَّى تَمُوتَ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ قُلْتُ: أَوْ لَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتَ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بلى قَالَ: أَفَأَخْبِرْتِكَ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْعَامُ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَتَطُوفٌ بِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا - أَي أَعْمَالًا صَالِحَةً كَثِيرَةً - لِيَكْفِرَ عَنْ مَجَادَلْتِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ (١).

التَّحَلُّلُ مِنَ الْعَمْرَةِ وَمَشُورَةُ أَمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

لَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلُقُوا» قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ أَخْرَجَ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَكَ وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ هَدْيَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمًا .

وقد حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله الحلقين»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: «والمقصرين» وكان في هدى النبي ﷺ فى الحديبية جمل لأبى جهل فى رأسه بُرة (٢) من فضة يغيط ذلك المشركين (٣).

العودة إلى المدينة ونزول سورة الفتح:

(١) سيرة الرسول أبو عمار ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) برة: حلقة .

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣٦٣ - ٣٦٤) .

ثم انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية قاصداً المدينة ؛ حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح ، وقد عبر رسول الله ﷺ عن عظيم فرحته بنزولها وقال: «أنزلت على الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَبِصْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾ [الفتح: ١-٣] ^(١) فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر فأقرأه إياه فقال: يا رسول الله ﷺ ، أو فتح هو؟ قال: «نعم، فطابت نفسه ورجع» ^(٢) .

مَجِيءُ أَبِي بَصِيرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَوْقِفُ قُرَيْشٍ مِنْهُ

لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد ، وكان ممن حبس بمكة ، فبعثت قريش رجلاً من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله ﷺ في طلبه فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله - عز وجل - جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق مع إلى قومك» قال: يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني قال: «يا أبا بصير انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً» فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحليفة جلس مع صاحبيه ، وقال لأحدهم: «أصارم سيفك هذا يا أبا بصير؟ فقال: نعم، قال: أنظر إليه؟ قال: انظر إن شئت فاستله أبو بصير ، ثم علاه به؛ حتى قتله، وفر الآخر إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعاً، قال: ويحك! ما لك، قال: قتل صاحبكم صاحبي، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوحشاً بالسيف؛ حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله وقت ذمتك وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتعت بيدي أن أفتن فيه أو بعثت بي فقال رسول الله ﷺ : ويل أمه محش ^(٣) حرب لو كان معه رجال» . ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها الشام ، وبلغ المسلمين الذين احتسبوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير ، فخرجوا إليه بالعيص فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، وكانوا قد ضيقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها ؛ حتى

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣٦٥) .

(٢) الرحيق المختوم ص ٣٠٢ .

(٣) محش حرب: موقد حرب ومهيجها ، وفي الصحيح: (ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد) .

كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله ﷺ فقدموا عليه المدينة (١) .

امْتِنَاعُ النَّبِيِّ عَنْ رَدِّ الْمَهَاجِرَاتِ :

صممت مجموعة من النساء المستضعفات في مكة على الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وفي مقدمة هؤلاء النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، فقد هاجرت إلى رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية فأراد كفار مكة أن يردوهن فأنزل الله تعالى في حقهن سورة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكْحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفِقُوا ذَلِكَ حُكْمٌ اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ (المتحنة: ١٠) .

فرفض النبي ﷺ طلب المشركين بردهن امثالاً لأمر الله بالإضافة إلى أن الكلمة التي كتبت في المعاهدة بصدد هذا البند هي: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ، وإن كان على دينك إلا رددته علينا ، فلم تدخل النساء في العقد رأساً .

وكان النبي ﷺ يمتحنهن بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ (المتحنة: ١٢) فمن أقرت بهذه الشروط قال لها: «قد بايعتك، ثم لم يكن يردهن» .

وطلق المسلمون زوجاتهم الكافرات بهذا الحكم ، فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك (٣) .

نتائج صلح الحديبية :

كان لصلح الحديبية العديد من النتائج من أهمها:-

١- اعترفت قريش في هذه المعاهدة بكيان الدولة المسلمة ؛ فالمعاهدة دائماً لا تكون

(١) ابن هشام (٢ / ٧٨ - ٨٠) .

(٢) السيرة النبوية للصلابي ٢ / ٣٧١ .

(٣) الرحيق المختوم ص ٣٠٠ .

إلا بين ندين ، وكان لهذا الاعتراف أثره فى نفوس القبائل المتأثرة بموقف قريش الجحودى ؛ حيث كانوا يرون أنها الإمام والقدوة .

٢- دخلت المهابة فى قلوب المشركين والمنافقين ، وتيقن الكثير منهم بغلبة الإسلام ، وقد تجلت بعض مظاهر ذلك فى مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، كما تجلت فى مسارعة الأعراب المجاورين للمدينة إلى الاعتذار عن تخلفهم .

٣- أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام ، وتعريف الناس به مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه ، يقول الإمام الزهري: مما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تينك الستين مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

وعقب عليه ابن هشام بقوله: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى المدينة فى ألف وأربعمائة فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك فى بستين فى عشرة آلاف .

٤- أمِن المسلمون جانب قريش فحولوا ثقلهم على اليهود ، ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى ؛ فكانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية .

٥- مفاوضات الصلح جعلت حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ، ويميلون إليه فهذا الحليس بن علقمة عندما رأى المسلمين يلبون رجع إلى أصحابه قائلاً: لقد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت .

٦- مكن صلح الحديبية النبى ﷺ من تجهيز غزوة مؤتة ، فكانت خطوة جديدة لنقل الدعوة الإسلامية بأسلوب آخر خارج الجزيرة العربية .

٧- ساعد صلح الحديبية النبى ﷺ على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام .

٨- كان صلح الحديبية سبباً ومقدمة لفتح مكة ، يقول ابن القيم: كانت الهدنة مقدمة

بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده ، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا ؛ فكانت الهدنة بابًا له ومؤذنًا بين يديه ، وهذه قضاء الله في الأمور العظام التي يقضيها قدرًا وشرعًا أن يؤطى بين يديها بمقدمات وتوطئات تؤذى لها وتدل عليها^(١) .

العِبْرُ وَالْعِظَاتُ وَالِدُرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ :

ينطوى صلح الحديبية على العديد من العبر والعظات والدروس المستفادة نذكر فيها ما يلي :

١- إن أمر هذا الصلح كان مظهرًا لتدبير إلهي محض ، تجلّى فيه عمل النبوة وأثرها كما لم يتجل في أي عمل أو تدبير آخر ، فقد كان نجاحه سرًا مرتبطًا بمكنون الغيب المطوى في علم الله وحده ، ولذلك انتزع - كما قد رأيت - دهشة المسلمين أكثر مما اعتمد على فكرهم وتدبيرهم ، ومن هنا فإننا نعتبر أمر هذا الصلح بمقدماته ومضمونه ونتائجه من الأسس الهامة في تقويم العقيدة الإسلامية وتثبيتها^(٢) .

٢- إن من أبلغ دروس صلح الحديبية درس الوفاء بالعهد والتقيد بما يفرضه شرف الكلمة من الوفاء بالالتزامات التي يقطعها المسلم على نفسه ، وقد ضرب رسول الله ﷺ بنفسه أعلى مثل في التاريخ القديم والحديث ؛ لاحترام كلمة لم تكتب ، واحترام كلمة تكتب كذلك ، وفي الجدل في عهوده ، وحبه للصراحة والواقعية وبغضه التحايل والالتواء والكيد ، وذلك حينما كان يفاوض سهيل بن عمرو في الحديبية ، وجاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو فرده إلى أبيه قائلاً : «إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهدًا ، وإنا لا نغدر بهم» .

كما يتضح ذلك في موقف أبي بصير حينما جاء من مكة إلى المدينة فقال له النبي ﷺ : «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا فانطلق إلى قومك» .

فكان النبي ﷺ يهتم بالعهود والمواثيق ولم يكن عنده مجرد نظرية مكتوبة على الورق ،

(١) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٣٦٧ - ٣٦٨) .

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٢٤٨ .

ولكن كان سلوكًا علميًا في حياته وفي علاقاته الدولية فقد أوصى الله بالوفاء بالعهود ، قال الله جل وعلا: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولٌ ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

وبهذا يكون الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها^(١) .

٣- ومن الدروس المستفادة من صلح الحديبية احترام المعارضة النزيهة ، وقد وضع ذلك عندما أعلن عمر بن الخطاب عن معارضة لهذه الاتفاقية ، وقد استطاع النبي ﷺ بما أعطاه الله من صبر وحكمة وحلم وقوة حجة أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح ، وأنه في صلح المسلمين وأنه نصر لهم ، وبهذا يتبين أن الرسول ﷺ وضع قاعدة احترام المعارضة النزيهة ، حيث قرر ذلك بقوله وفعله ، وهو والله أعلم إنما أراد بهذا الفعل إرشاد القادة من بعده إلى احترام المعارضة النزيهة ؛ التي تصدر من أتباعهم ، وذلك بتشجيع الأتباع على إبداء الآراء السليمة التي تخدم المصلحة العامة ، وهذا الهدى النبوي الكريم بيّن أن حرية الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي ، وأن للفرد في المجتمع الإسلامي الحرية في التعبير عن رأيه ولو كان هذا الرأي نقدًا لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء ، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر^(٢) .

٤- ومن الدروس المستفادة أيضًا أخذ النبي ﷺ بمشورة أم سلمة رضي الله عنها ، وفي ذلك دليل على استحسان مشورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأى سديد ، كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة ، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها وتجاهل وجودها ، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي مرسل ، ويعمل النبي ﷺ بمشورتها لحل مشكلة اصطدم بها وأغضبت^(٣) .

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٨ - ٣٦٩) .

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٣٦٢ - ٣٦٣) .

(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٦٤) .